متفرقات

1- الصلاة شعار العبودية:

إن الصلاة هي الشعار المتجدد كل يوم لعبودية المصلي لربه وخالقه جل جلاله، والمصلي يعلن بصلاته عن هويته الإيمانية، ويرفع ذلك الشعار الذي يشاركه فيه إخوانه المؤمنون المصلون في كل زمان ومكان، فالولاية معقودة بينه وبينهم، وإن تناءت الأمكنة وتباعدت الأزمنة، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

والولاية معقودة بين المؤمنين وبين قبلتهم في صلاتهم: الكعبة المشرفة بيت ربهم جل جلاله، قال تعالى: ﴿ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] ويحتمل عود الضمير في الآية الكريمة إلى المسجد الحرام كما ذكر العلامة السعدي في تفسيره[3]، فالله عز وجل جعل بيته الحرام لتوحيده وعبادته وقيام دينه. فالمؤمنون يتوجهون إلى بيت ربهم في صلاتهم خمس مرات في اليوم والليلة، يفعلون ذلك عبودية خالصة وطاعة لله جل جلاله، فهو سبحانه الذي فرض ذلك وأمر به في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[4] الآية. فالمصلي في صلاته يعكس صورة العبودية التي فطره عليها خالقه، فهو في صلاته يحقق

---

(1) سورة التوبة: (71).

(2) سورة الأنفال: (34).

(3) انظر: تفسير السعدي ص (320).

(4) سورة البقرة: (144).

هذه الفطرة التي يحبها الله تعالى لأنها الفطرة التي فطر الناس عليها.

2- الصلاة مظهر للعبودية:

قال الحكيم الترمذي: "وأما صورتها (أي الصلاة) من الأفعال فإنها وضعت إظهاراً للعبودية، وسبباً لتطهير الموحدين، وستراً لمساوئ أعمالهم، فصُوِّرتْ أفعالها على أفعال العباد لتقابل تلك المساوئ فتسترها ليقدم غداً على ربه مستوراً. وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[1]، فالعبد إنما خلق ليكون له عبداً كما خلق فيثاب على كونه هذا (أي كونه عبداً) فيصير غداً حراً ويكون في جوار الله ملكاً"[2].

وقال ابن قيم : : "ولما كانت العبودية غاية كمال الإنسان وقربه من الله بحسب نصيبه من عبوديته وكانت الصلاة جامعة لمتفرق العبودية متضمنة لأقسامها كانت أفضل أعمال العبد، ومنزلتها من الإسلام بمنزلة عمود الفسطاط منه" [3].

3- المؤمن يسعد بالصلاة:

والمؤمن هو من أسعد الناس وأكثرهم بهجة وسروراً بالصلاة لأنه يجد فيها ذاته حين يقف بين يدي سيده وخالقه يناجيه، ويثني عليه، ويدعوه، ويضرع إليه، ويخر بين يديه راكعاً ساجداً في تذلل، وخضوع، وانكسار يرجو رحمته ويطمع في مغفرته. وإنها للحظات من أجمل اللحظات وأطيبها في حياة المؤمن، فالصلاة فرضت في أفضل الأوقات، وأشرفها عند الله تعالى. والله عز وجل اختار لعباده المؤمنين هذه الأوقات الشريفة عنده ليقفوا بين يديه في صلاتهم بهيئة شريفة تدل على كمال الذل والعبودية والتعظيم له سبحانه وتعالى. فأي شرف أعلى من هذا الشرف؟ وأي عزة

---

(1) سورة هود: (114).

(2) الصلاة ومقاصدها (43) للحكيم الترمذي، تحقيق الشيخ بهيج غزاوي.

(3) كتاب الصلاة وحكم تاركها لابن قيم، تحقيق تيسير زعيتر، ص (180، 181).

أعظم من هذه العزة؟ ينال المصلي ذلك كله ويكرم به في صلاته وهو يقف عبداً ذليلاً منكسراً، خاشعاً، قانتاً صاغراً لكبرياء الله تعالى وعظمته وجبروته، إنه بعمله هذا يضع رجليه على مدارج الشرف والعزة والكرامة.

4- الصلاة ميدان العزة والكرامة:

إن الصلاة ميدان واسع من ميادين العزة والكرامة. ومن أراد العزة والكرامة فعليه بالصلاة. إن المصلي عزيز عند الله تعالى لأنه يضع أشرف وأكرم أعضاء بدنه في الأرض عبودية لله تعالى وتذللاً له جل جلاله، فالمصلي يلقى من الله الكرامة ظاهراً وباطناً، عاجلاً وآجلاً في الدنيا والآخرة، ويُلَقَّى يوم القيامة تحية الكرامة في دار الكرامة من ربه الكريم، قال تعالى: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾[1] ولذلك كله وسواه عدت الصلاة (عمود الإسلام) وهي عمود عبودية المسلم لله تعالى، فمن تركها فقد هدم عمود إسلامه، وهدم عمود عبوديته، فمن لم يصل لله تعالى فهو متكبر من المتكبرين الذين يسيرون خلف المتكبر الأول إبليس عليه لعائن الله. فهو أول من عبَّد طريق الكبر، وأول من سار فيه، وهو ومن سار خلفه سيكون مصيرهم إلى النار مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[2] وعمود الصلاة: السجود.

5- السجود سر الصلاة وركنها الأعظم:

كان العرب قديماً يأنفون من الانحناء، فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لأخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لإصلاحه، فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة أُمروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم، ويزول كبرهم، ويستقر التواضع في قلوبهم.

---

(1) سورة الأحزاب: (44).

(2) سورة غافر: (60).

قال ابن قيم : (وشرع السجود على أكمل الهيئة وأبلغها في العبودية، والسجود سر الصلاة وركنها الأعظم وخاتمة الركعة وما قبله من الأركان كالمقدمات له فهو شبه طواف الزيارة في الحج فإنه مقصود الحج ومحل الدخول على الله وزيارته وما قبله كالمقدمات له. ولهذا أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وأفضل الأحوال له حالٌ يكون فيها أقرب إلى الله، ولهذا كان الدعاء في هذا المحل أقرب إلى الإجابة، ولما خلق الله سبحانه العبد من الأرض كان جديراً بأن لا يخرج عن أصله بل يرجع إليه إذا تقاضاه الطبع والنفس بالخروج عنه، فإن العبد لو تُرك لطبعه ودواعي نفسه لتكبر وأشر، وخرج عن أصله الذي خلق منه، ولوثب على حق ربه من الكبرياء والعظمة فنازعه إياهما، وأُمر بالسجود خضوعاً لعظمة ربه وفاطره، وخشوعاً له، وتذللاً بين يديه وانكساراً له فيكون هذا الخشوع والتذلل رداً له إلى حكم العبودية، ويتدارك ما حصل له من الهفوة والغفلة والإعراض الذي خرج به عن أصله فتمثل له حقيقة التراب الذي خُلق منه وهو يضع أشرف شيء منه وأعلاه وهو الوجه وقد صار أعلاه أسفله خضوعاً بين يدي ربه الأعلى وخشوعاً له، وتذللاً لعظمته واستكانة لعزته، وهذا غاية خشوع الظاهر) [1].

6- حاجتنا إلى الصلاة:

إننا بحاجة ماسة إلى ضرورة أن ندرك شأن الصلاة وأثرها وخطرها في حياتنا، لأننا ومن خلال هذا الإدراك سوف نحرص على أدائها ولا نفرط فيها. إننا من خلال ذلك سوف نعرف أننا محتاجون إلى الصلاة أكثر من احتياجنا إلى الماء والهواء والشراب والطعام فهذه كلها تغذي الجسم، والصلاة تغذي أرواحنا وقلوبنا. ونحن إنما نسعد في الدنيا والآخرة بغذاء

(1) كتاب الصلاة وحكم تاركها لابن قيم ص (178، 179).

وسعادة أرواحنا وقلوبنا. فالكفار أجسامهم صحيحة ولكن أرواحهم ميتة قال الله تعالى: ﴿ وَذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2]. وقال سبحانه: ﴿ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾[3].

7- الصلاة ميدان التطهير والتزكية:

فالصلاة جعلها الله تعالى ميداناً لتطهير النفس وتهذيبها، وسبيلاً لإصلاحها، وتزكيتها وإصلاح ما بها من خلل وعوج، وعلاج أمراضها، وعللها، وذلك أن للذنوب أثراً رهيباً في التأثير على سلامة النفس وقوتها، ونضارتها ونظافتها، ونقائها وجمالها، وسلامة إدراكها، وحُسن تصورها. والصلاة جعلها الله تعالى سبباً لإزالة هذا التأثير وإذهابه، ولعل ذلك يدل عليه قول المصطفى ﷺ : **(أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شي، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا)** [4].

وهذا الحديث الشريف يدل على وظيفة الصلاة وأثرها في حياة صاحبها وفيه تمثيل المعقول بالمحسوس، ليظهر المعقول في صورة المحسوس اعتناءً بشأنه وبياناً لأهميته وتعميقاً لصورته ومعناه في حس المخاطب. والحديث بدلالاته وأبعاده، وإيحاآته يتجاوز أبعاد الصورة الظاهرة في ذهن المخاطب والمتصلة بإزالة الماء المغتسل به كل يوم خمس مرات للدرن أي الوسخ المتراكم على الجسم إلى الأبعاد المتصلة بما وراء ذلك وهي الأبعاد التي تتناول ميدان النفس، والعقل والقلب، وذلك وسواه

---

(1) سورة الأعراف: (198).

(2) سورة الأنفال: (55).

(3) سورة الطور: (44).

(4) صحيح مسلم (1/ 462) برقم (667).

يدل على سعة العلم النبوي الشريف بأسرار العبادات، وبأسباب علاج النفوس من أمراضها. إن الماء هو سبب الحياة، وإذا وجد فإنه توجد معه الحياة بما تعنيه من الحركة، والفاعلية، والنشاط، والجمال، والذوق، والإحساس بقيمة الحياة، وبوجود الماء يتحرك الناس لنظافة أبدانهم، وبيوتهم وملابسهم، وشأنهم كله: مسكناً، ومركباً، ومطعماً، ومنتزهاً، ومظهراً.

والإنسان النظيف في بدنه، وشأنه الظاهر مظهر جميل تحبه النفوس التي تعشق النظافة، وترتاح إليها، وبالمقابل فإن الوسخ تنفر منه الطباع السليمة وتأباه النفوس الكريمة، ووسخ الظاهر في الغالب دليل على قابلية الباطن له. والوسخ هو البيئة التي تتراكم وتتزاحم وتتوالد وتتكاثر فيها الجراثيم والطفيليات والميكروبات، وهي تشكل ضيقاً وعبئاً وثقلاً على النفس والعقل والقلب والروح، وكل شيء يوجد بوجود أسبابه إلا ما شاء الله خلافه، وهكذا وجود الوسخ وما يتسبب عنه. والإنسان المتسخ في ظاهره هو دائماً ضيق البال، مضطرب الحال، وآثار ذلك كله تنعكس على شخصيته وعلى عافيته، وعلى نفسه وقلبه وعقله وروحه، ومن ثم على عمله كله.

ولعله من خلال ما تقدم بيانه يمكن أن ندرك الأثر الفعال الذي تحدثه الصلاة في حياة صاحبها بناءً على فهم هذا الحديث الشريف طهارة، ونقاءً وصفاءً وجمالاً وبهاءً في الظاهر، والباطن، فإن الاغتسال كل يوم خمس مرات من نهر غمر جار سيذهب بكل أثر مهما كان نوعه، وبكل الأوساخ العالقة بالبدن، وسينمحي بناءً على ذلك كل أثر يترتب على هذه الأوساخ الظاهرة، وسوف ينشأ عن هذه النظافة المتكررة كل يوم الخفة والنشاط في البدن والانشراح في النفس.

والخطايا والذنوب هي بمثابة الجراثيم والميكروبات والطفيليات التي تفعل فعلها في البدن المتسخ فتفتك بقواه وتوهنه وتجعله بدناً مريضاً غير قادر على أداء وظيفته في الحياة، فما تحدثه الذنوب والخطايا – إن لم يتب منها – من أثر مدمر على

ظاهر المذنب وباطنه أمر معلوم مشاهد في الواقع لا يخفى إلا على النائمين والغافلين. وقد أفاض **ابن قيم** : تعالى في بيان الآثار المدمرة للذنوب والمعاصي إفاضة بديعة في كتابه الجميل: (**الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**).

وتأتي الصلاة مفروضة من الله تعالى على عباده المؤمنين في اليوم والليلة خمس مرات لتمحو بإذن الله تعالى تلك الذنوب والمعاصي وتذهب بكل آثارها المترتبة عليها فيخرج المصلي بإقامة الصلاة من تلك الذنوب والمعاصي نظيفاً كيوم ولدته أمه كما يخرج من الأوساخ العالقة ببدنه من يغتسل من نهر جار أمام بيته كل يوم خمس مرات.

8- الصلاة صلة بين العبد وربه :

ولعل هذا يقودنا إلى تدبر أسرار ومعاني دوام التكليف بها وتكرار ذلك خمس مرات في اليوم والليلة، وذلك التدبر لا يجيء من فراغ، ولكنه يترتب على معرفة تلك الصلة الفريدة العجيبة القائمة بين العبد والرب سبحانه وتعالى والتي يصفها العلامة الندوي أبو الحسن في كتابه الرائع: (**الأركان الأربعة**) بقوله: (إنها صلة غريبة فريدة لا نظير لها ولا مثال، إنها لا تقاس على صلة بين طرفين وبين اثنين في هذا الوجود، إنها لا تقاس على صلة بين صانع ومصنوع، وبين حاكم ومحكوم وبين قوي وضعيف، وبين فقير وغني، وبين مستجد مكد وبين جواد منعم فحسب، إنها صلة أدق من جميع هذه الصلات وأعمق وأقوى وأشمل، ولا يفهم هذه الصلة الغريبة الفريدة بين العبد والرب إلا من عرف صفة العبد وصفة الرب، والصلة دائماً تابعة للصفة نابعة منها، إنك لا تستطيع أن تحدد صلة بين طرفين، وبين اثنين، إلا إذا عرفت صفة كل واحد منهما، وعرفت التفاوت أو التفاضل بينهما، وعرفت مقدار احتياج أحدهما إلى الآخر، وفضل أحدهما على الآخر، وجميع الصلات التي نمارسها في الحياة والتي تشكل القانون، وتكوّن المدنية، وتصوغ المجتمع خاضعة للصفات التي نعرفها أو نتوهمها

للأفراد والكائنات أو أعضاء الأسرة أو ذوي السلطان)[1].

وإذا كانت الصلات قائمة على معرفة الصفات، ونابعة منها كما عرفنا فإنه يمكننا إدراك بعض الأسرار والحِكم والمعاني المتصلة بفرض الصلاة على المسلم في اليوم والليلة خمس مرات، علماً بأن العلم بحقيقة ذلك عند الله تعالى، والمسلم مدعو إلى إعمال الفكر والنظر والتأمل وصولاً إلى إدراك بعض المعاني الكريمة، وتلمساً لبعض الحِكم والأسرار بقدر ما يفتح الله تعالى عليه من الفهم في هذا الأمر وسواه.

9- الصلاة طريق يدلنا على الله :

إنني أكرر القول باستمرار بأن مشكلتنا التي تواجهنا في طريق سيرنا إلى الله تعالى – وهي كثيراً ما تعوقنا في هذا السير – هي عدم معرفتنا بأسماء الله سبحانه وصفاته الكريمة معرفة نتربى بها ونتزكى على طريق العبودية لله سبحانه، وجميع المظاهر السلبية في حياة أمتنا على مستوى الأفراد وسواهم إنما هي ناتجة عن ذلك أي عن عدم هذه المعرفة، وذلك أننا في أمس الحاجة إلى هذه المعرفة معرفة نتربى ونتزكى بها أيضاً على طريق العلم بالله تعالى وبصفاته الكريمة، وبأسمائه العظيمة، حتى ترتفع نفوسنا بهذا العلم تربية وتزكية فتعانق أنوار وأسرار هذا العلم إيماناً بالله تعالى وحباً وخشية وتعظيماً له سبحانه، واستجابة لأمره، وعبودية مطلقة له جل جلاله، وخوفاً وحياءً منه يستولي ذلك كله على نفوسنا ومشاعرنا وعواطفنا وآمالنا فنقف عند حدوده ونواهيه، ونتقرب إليه بما أمر من الفرائض والطاعات وسائر القربات. فتتكون لدينا بهذا العلم قوة قلبية ونفسية نستعلي بها على المحرمات مهما كانت مغرية، ونستجيب بها لأمر الله كله في طواعية كاملة، وعبودية مطلقة مع كمال الذل والحب لله سبحانه وتعالى.

ومن شأن ذلك العلم أن يقوي في نفوسنا اليقين بأننا والخلق أجمعين وجدنا

---

(1) الأركان الأربعة ص (13، 14).

برحمة الله تعالى وقدرته، فهو الذي خلقنا في أحسن تقويم ومنحنا العقل وسلامة الأبدان والأعضاء، ويسر لنا سبل معايشنا ويسر الكون من حولنا، وأعطانا من كل ما سألناه تفضلاً منه وإحساناً من دون سابقة عمل من أحد، وبرغم المعاصي والمخالفات والذنوب التي يحدثها الناس في حياتهم، فإن عطاء الله الشامل لخلقه جميعاً مستمر.

فتسخير الشمس والقمر، وتذليل الأرض، وجعلها مستقراً ومهاداً وكفاتاً للخلق أحياء وأمواتاً، وتسخير البحار والأنهار، وتيسير الأرزاق، كل ذلك وسواه لم يتوقف. وعلى ذلك فالخلق محتاجون إلى الله تعالى خالقهم احتياجاً أصلياً في كل شيء لا يستغنون عن رحمته طرفة عين، فهو جل جلاله الخالق، الرازق، المسيطر، المدبر، الرافع الخافض، المعز المذل، القابض، الباسط، المحيي المميت، النافع الضار، المنتقم العزيز الجبار، العلي الكبير، عالم الغيب والشهادة لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهو بكل شيء عليم، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو على كل شيء قدير، وهو جل جلاله الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن المتكبر، كل شيء بعلمه وإرادته وتقديره، وكل شيء خاضع خضوعاً مطلقاً لمشيئته وإرادته. الخلق خلقه، بيده حياتهم، ومعاشهم، وأرزاقهم، ومماتهم، وملكوت كل شيء بيده، وإليه مرجع الخلق ومصيرهم، وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً، وما لهم من دونه من ولي ولا نصير، وكل شيء هالك إلا وجهه، فلا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه. خلق خلقه فأحصاهم عدداً، وقدر أرزاقهم فلم ينس أحداً، رحمته وسعت كل شيء، وسعت المؤمنين والكافرين على السواء.

10-الإنسان أمام بعض صفاته :

وإذا كانت هذه بعض أسماء وصفات الرب عز جلاله فما هي بالمقابل صفات المخلوقين من الإنس الذين فرض الله تعالى على المكلفين منهم الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة؟ ولا شك أن كل واحد من هؤلاء المخلوقين يعرف صفات جنسه

من خلال معرفته بصفات نفسه.

إننا حين نتكلم عن هذه الصفات أو بعضها فإنما نتكلم عن شيء موجود نحسه ونراه في كل لحظة من حياتنا، فهو ليس شيئاً خارجاً أو بعيداً عنا ولكنه شيء ينبع من نفوسنا ويظهر في مقالنا وسلوكنا وفعالنا، وكثير من الناس – إلا ما رحم الله – تغلب عليهم صفات الجهل، والحمق، والجشع، والطمع، والغفلة، والغضب، والنسيان، والغطرسة، والكبر، والضعف، والعجز، والفقر، والجحود، وغلبة الشهوة، والتسرع، والعجلة في الأمور وفي الحكم عليها، وعلى الآخرين، والعجب، ونقض العزيمة، والجمع بين الشيء وضده، والإعجاب بالظاهر، والتهافت على الدنيا وملذاتها. والانبهار بجمالها، والضعف أمام هذا الجمال وفقدان العزيمة أمام المال وما يقاربه وحب الدنيا وكراهية الموت.

فهذه الصفات السلبية في الإنسان – إلا ما رحم الله – وغيرها كثير وكثير، ولو تُرك هذا الإنسان يتحرك بصفاته تلك دون أن يكون له في يومه وليله وقفات مع ربه يتخلص بها من هذه الصفات أو بعضها لهلك وأهلك غيره علماً بأن بعض هذه الصفات يستمد وجوده من الإنسان نفسه فهي تتقوى بالطعام والشراب، والصلات مبنية على الصفات.

11- الصلاة ضرورة لا بد منها :

فمن عرف صفات ربه جل وعلا وعرف صفاته كإنسان أيقن يقيناً جازماً أن وقوفه بين يدي ربه في الصلاة المفروضة عليه في اليوم والليلة خمس مرات ضرورة حتمية لا يستغني عنها بحال مهما كانت ظروفه وأحواله اللهم إلا أن يغيب عقله. فالصلاة بالنسبة إليه ضرورة إيمانية، وضرورة نفسية، وضرورة أخلاقية، وضرورة عقلية، وضرورة روحية، وضرورة وجدانية، وضرورة شخصية، وضرورة صحية تشمل صحة ظاهره وباطنه، والمؤمن هو المرشح لإدراك ذلك كله وسواه ومعرفته،

ولذلك وصف الله تعالى المؤمنين بإقامة الصلاة، وبالمحافظة والمداومة عليها في القرآن الكريم في آيات كثيرة دليلاً واضحاً على مدى وعيهم وفهمهم لصفات ربهم ولصفاتهم فأيقنوا باحتياجهم إلى الله تعالى، وأدركوا قيمة النعمة التي أنعمها الله تعالى عليهم حيث أكرمهم وشرفهم بالوقوف بين يديه خمس مرات في اليوم والليلة، ليطهرهم بذلك الوقوف ويذهب عنهم شرور أنفسهم ويرفع درجتهم فتزكو أنفسهم على طريق العبودية له جل جلاله.

12- الصلاة نعمة الله على عباده :

إن الصلاة نعمة كبرى من نعم الله تعالى على عباده المؤمنين، فهم يعظمون شأن هذه النعمة، ويقدرونها ويحفلون بها ويهتمون ويغتمون لها، وهي في بؤرة شعورهم وفي سويداء قلوبهم، يرقبون أوقاتها في جميع أحوالهم، وينظمون حركتهم بناءً على هذه الأوقات، وغير المؤمنين من المسلمين يختلفون في موقفهم من الصلاة: فمنهم النشط، ومنهم المتوسط، ومنهم المتكاسل، وذلك بناءً على فهمهم لصفاتهم ولصفات ربهم سبحانه وتعالى، وصلاتهم بربهم مؤسَّسة على أساس فهم هذه الصفات. فالصلات مبناها على معرفة الصفات. والإنسان إنما يقترب من غيره من الناس أو يبتعد بناءً على معرفته بصفاتهم التي على ضوئها يدرك أنه في حاجة إليهم فيكون وصله لهم وإقباله عليهم، أو أنه ليس في حاجة إليهم فيكون ابتعاده منهم أو إعراضه عنهم.

والإنسان من حيث هو إنسان يبحث دائماً عن مصلحته وهو في هذا الأمر ذكي يقظ، وهذه فطرة فيه، والله تعالى راعى هذه الفطرة في بني الإنسان فجاءت التكاليف في الإسلام بالفعل لما أحل الله، أو الترك لما حرم مشمولة بالأجر العظيم، والعطاء العميم، والثواب الجزيل من الله تعالى لمن امتثل هذه التكاليف حتى يقبل المكلفون عليها بحماس وامتثال.

13- **الصلاة ميدان العطاء الإلهي:**

والصلاة هي الصلة بين العبد وربه، وهي صلة تدل على فهم وعقل العبد لشأنه ومكانه، وأنه عبد لا قيمة له من دون سيده، فكما أن العبد محتاج إلى سيده من الناس في كل أموره، فكذلك هذا العبد المصلي هو محتاج لربه سبحانه في كل شيء لأن ربه يملك كل شيء وهو (**أي العبد المصلي**) فقير في كل شيء.

وفي الصلاة ينال هذا العبد من ربه سبحانه الخيرات والعطايا والهبات، ويفاض عليه من رحمة الله وفضله ما يكون سبباً لجبر كسره، وستر عواره، وإصلاح خلله، وشفاء مرضه، ومعافاة بلائه، وسد فقره، وجمع متفرقه، ولم شعثه، وتسكين حيرته، وإذهاب شروره، وتطهير قلبه، وتزكية نفسه، ورفعة منزلته، ونصره، وتأييده، وإنزال السكينة عليه، وإذهاب وحشته، ووساوسه وشروره كلها، وبالجملة يكون صلاح أمره ظاهراً وباطناً. وعلى قدر تنور القلب بالإيمان يكون إدراك ثمرة وفائدة وأثر الصلاة في الظاهر والباطن.

وسيدنا رسول الله ﷺ يقول: (**وجعلت قرة عيني في الصلاة**)[1] الحديث. وهو بيان نبوي كريم ينوه بأهمية وشأن وأثر الصلاة وما تحدثه في حياة صاحبها من أسرار وخيرات وبركات لا يحيط بها إلا الله تعالى.

14- **التهاون في الصلاة دليل الجهل بالله تعالى وبحقيقة الإنسان:**

ولذلك فإننا يمكن أن نؤسس – بناء على ما تقدم – القول بأننا إذا رأينا إنساناً مسلماً يتهاون في إقامة الصلاة فإننا ندرك أن ذلك التهاون منه ناتج عن جهله بربه تعالى وبصفاته العلى وبأسمائه الحسنى، وناتج في ذات الوقت عن جهله بمعرفة حقيقته هو كإنسان خلق لغاية لا يصلح إلا بأدائها، ألا وهي العبودية لله تعالى، والصلاة هي المظهر العملي اليومي لهذه العبودية، ولذلك فإن حاجة عباد الله المؤمنين

---

(1) رواه أحمد في مسنده (3/ 128، 199، 285) والنسائي في سننه (7/ 61) في عشرة النساء.

إلى الصلاة كحاجة السمك إلى الماء، وحاجة الإنسان إلى الغذاء والهواء.

قال الحكيم الترمذي في كتابه "الصلاة ومقاصدها": (فكل صلاة هي توبة، وما بين الصلاتين غفلة وجفوة، وزلات، وخطايا، فبالغفلة يبعد (**أي العبد**) من ربه، فإذا بعد أشر وبطر، لأنه يفتقد الخشية والخوف، وبالجفوة يصير أجنبياً، وبالزلة يسقط وينزلق قدمه فتنكسر، وبالخطايا يخرج من المأمن فيأسره العدو. فأفعال الصلاة مختلفة على اختلاف الأحوال التي جاءت من العبد، فبالوقوف يخرج من الإباق لأنه لما انتشرت جوارحه نقصت تلك العبودية، وأبق من ربه، فإذا وقف بين يديه فقد جمعها من الانتشار ووقف للعبودية فخرج من الإباق، وبالتوجه إلى القبلة يخرج من التولي والإعراض، وبالتكبير يخرج من الكبر، وبالثناء يخرج من الغفلة، وبالتلاوة يجدد تسليماً للنفس وقبولاً للعهد، وبالركوع يخرج من الجفاء، وبالسجود يخرج من الذنب، وبالانتصاب للتشهد يخرج من الخسران وبالسلام يخرج من الخطر العظيم)[1].

فالصلاة هي واحة المؤمن وخندقه، ومعقله ومفزعه ومأمنه، ومكان صعود عمله، ومكانه في الصلاة هو خير مكان له فوق الأرض، وهو المكان الذي يبكي عليه عند وفاته، ويشهد له يوم القيامة.

15- تعريف الصلاة دال على إلزام المكلف بها مدة حياته:

وتتعانق حاجة المؤمن للصلاة وعدم انفكاكه عنها ما دام حياً مع تعريف الصلاة نفسها فمن بين التعاريف لأصل كلمة الصلاة: اللزوم، جاء في لسان العرب للعلامة **ابن منظور** : قوله: (وقال الزجاج: الأصل في الصلاة: اللزوم يقال: قد صلي واصطلى إذا لزم ومن هذا من يُصلى في النار أي: يُلزم النار، وقال أهل اللغة في الصلاة: إنها من الصلوين وهما مكتنفا الذنب من الناقة وغيرها، وأول موصل الفخذين من الإنسان، فكأنها في الحقيقة مكتنفا العصعص، قال الأزهري: والقول

(1) الصلاة ومقاصدها ص (29).

عندي هو الأول، وإنما الصلاة لزوم ما فرض الله تعالى)[1].

ولا يصادم هذا التعريف التعاريف الأخرى لأصل كلمة الصلاة في اللغة، وقد أفاض صاحب لسان العرب في بيان تلك التعاريف وملخص ذلك أن تلك التعاريف تدور بين معاني: الركوع والسجود، والدعاء، والتعظيم، وكل ذلك موجود في الصلاة فلا تضاد بين تلك التعاريف، فكل واحد منها من قبيل البيان، وهي كلها موجودة في تعريف الصلاة بمعناها الشرعي عند الفقهاء من حيث إنها أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم، على أن الزبيدي في تاج العروس[2] اعتبر أن معنى الدعاء هو أصل معاني الصلاة.

ولقد كانت عناية القرآن الكريم بأمر الصلاة عناية بالغة تمثلت في ذلك الحشد الهائل من الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر الصلاة في مواضع قاربت مائة موضع فهي أهم ركن في الإسلام بعد الشهادتين، بل هي تجمع أركان الإسلام.

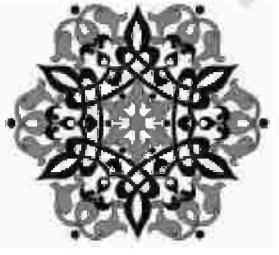

(1) لسان العرب (14/ 464-465).

(2) تاج العروس للزبيدي (19/ 606، 607).